التحليل العمودي والأفقي للتركيب اللغوي في كتاب (الشرح المعاصر لكتاب سيبويه) للدكتور هادي نهر

Vertical and horizontal analysis of the linguistic structure in the book (Contemporary Explanation of the Book of Sibawayh) by Dr. Hadi Nahar

Hasina Mohammed Tahir
Lecturer
Tal Afar University / College of Basic Education
Dr. Amin Luqman Al-Habar
Professor
University of Mosul / College of Education for Humanities

حسينة محمد طاهر
مدرس
جامعة تلعفر / كلية التربية الأساسية
أ.د. أمين لقمان الحبّار
أستاذ
جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

hasena.m.younus@uotelafer.edu.iq
ameenalhabbar@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التحليل العمودي، التحليل الافقي، التحليل الخطي، الشرح المعاصر، سيبويه.

Keywords: Vertical analysis, Horizontal analysis, Linear analysis, Contemporary Explanation, Sibawayh.

الملخص

يقوم التحليل النحوي في النحو العربي على ركيزتين أساسيتين، الركيزة الأولى هي التحليل الإعرابي للتراكيب النحوية، والثانية هي التحليل الخطي، ويتمثل بالخطين العمودي والأفقي للتركيب. ويعد كتاب (الشرح المعاصر لكتاب سيبويه) للدكتور هادي نهر من الكتب التي عمدت إلى الركزتين في تحليل التراكيب نحوياً، وقد سلطنا الضوء في هذه الدراسة على التحليل الخطي – العمودي والأفقي– فيه، ويعني بالتحليل الخطي النظر إلى ما تصرف به في التركيب عمودياً وأفقياً، ويكون التصرف العمودي باستبدال عنصر لغوي في التركيب بآخر يؤتى به من خارج الحدث الكلامي، أمَّا التصرف الأفقي فيكون بالنظر إلى الآليات اللغوية التي تحدث في التركيب من تقديم وتأخير وحذف بعض العناصر فيه والفصل بين عنصرين وما إلى ذلك، ولذلك قسمت الدراسة هنا إلى مطلبين، ففي المطلب الأول تناولنا التصرف العمودي في التركيب ودور ذلك في التحليل النحوي، وفي المطلب الثاني تناولنا التصرف الأفقي وما يشمل من تقنيات

لغوية من تقديم وتأخير وحذف والفصل بين شيئين، والهدف من الدراسة هو بيان المرتكزات التحليلية في النحو العربي بشكل عام وفي (الشرح المعاصر) بشكل خاص.

Abstract

Grammatical analysis in Arabic grammar is based on two basic pillars. The first pillar is the syntactic analysis of grammatical structures, and the second is linear analysis, which is represented by the vertical and horizontal lines of the structure. The book (Contemporary Explanation of Sibawayh's Book) by Dr. Hadi Nahar is one of the books that focused on two focuses in analyzing grammatical structures. In this study, we have shed light on the linear analysis - vertical and horizontal - in it. Linear analysis means looking at what is done in the structure vertically and horizontally. Vertical manipulation is by replacing a linguistic element in the structure with another that is brought from outside the speech event. As for horizontal manipulation, it is by looking at the linguistic mechanisms that occur in the structure, such as presenting, delaying, deleting some elements in it, separating two elements, and so on. Therefore, the study here is divided into two sections. In the first section, we dealt with vertical manipulation in the structure and its role in grammatical analysis. In the second section, we dealt with horizontal manipulation and what it includes of linguistic techniques of presenting, delaying, deleting, and separating two things. The aim of the study is to clarify the analytical foundations in Arabic grammar in general and in (Contemporary Explanation) in particular.

المقدمة:

لم يكن التحليل النحوي في (الشرح المعاصر) منحصراً بالإعراب وعلاقة الكلمات بعضها ببعض في الإسناد والتأثر والتأثير والتبعية والإضافة، والنظر إلى العلامة الإعرابية وتحديد الموقع الإعرابي وما إلى ذلك، وما يستند إليه من علاقات صرفية ودلالية، بل كان ينظر في ذلك إلى التركيب وما يتصرف به عمودياً وأفقياً، وقد أشار دكتور نهر إلى أنَّ سيبويه انطلق في كتابه بالحديث عن أقسام الكلم العربي مستنداً إلى تصنيف هذه الأقسام تصنيفاً صرفياً ونحوياً ودلالياً، وانتهى بالأبواب النحوية المستفيضة بالأبنية والأنماط، والمعززة بالشواهد والأمثلة لكلِّ نمط من أنماطها، وتركيب من تركيبها من غير إغفالٍ لإمكانيات التصرف الأفقي أو العمودي في هذه الأنماط والتراكيب، وما يفرزه أيّ تصرف من دلالة خاصة به(نهر، ٢٠١٤، ٢/ ٥٧).

وهذا يظهر لنا أهتمام القدماء بالعلاقات العمودية والخطية الأفقية في تحليل التراكيب تحليلاً نحوياً، ومن ثمَّ في سنّ القواعد وتوجيه الأحكام وإثباتها؛ إذ يقول في موضع آخر ((يجري سيبويه في أغلب الأحيان نوعاً من التصرف الأفقي مثلما يجري نوعاً من التصرف العمودي على الأمثلة التي يمضي من خلالها مستنبطاً القواعد والأحكام الإعرابية التي يريد أن يسنّها أو يوضحها، فهو ينقلنا من نحو قولك: أبكيتُ قومك بعضهم على بعض، إلى: أبكيتُ قومك بعضُهم أكرمُ من بعض، ومن: حزّنتُ قومك بعضهم على بعض، إلى: حزّنتُ قومك بعضهم أفضل من بعض)) (نهر، ٢٠١٤، ١٧٢/٢)، وفي (الشرح المعاصر) نجد نماذج كثيرة تقوم على اعتماد التصرف العمودي والأفقي في التحليل، وفيما يأتي عرض من تلك النماذج مع التعريف والتوضيح للتصرف العمودي والأفقي أو ما يسمى في الدرس الحديث بالخط العمودي والأفقي:

أولاً- التصرف العمودي:

يكون النظر إلى الخط العمودي للتركيب باستبدال عنصر لغوي بآخر في التركيب من دون تغيير في العناصر الأخرى، فيكون بذلك علاقة بين عنصر حاضر في التركيب وعنصر آخر يُجلب من خارج التركيب، وهي علاقة حاضر بغائب(حسين، ٢٠٠٢، ٩)، ويطلق دي سوسير (de Suiseir) على هذا النوع من العلاقات بالعلاقات الإيحائية (associative)(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٤٢) التي استعملها في مقابل العلاقات السياقية (syntagmatic)(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٤٢)، وأطلق عليها أيضاً مصطلح (علاقات محور الاستبدال)(دي سوسير، ١٩٨٧، ١٧٥)، ووظيفتها استدعاءات ذاكرية(دي سوسير، ١٩٨٧، ١٥٧) وهي تربط بين العناصر بصورة غيابية سلسلة ممكنة تعتمد على الذاكرة، فهي إذاً جزء من الذخيرة الداخلية للغة التي يملكها كل متكلم(دي سوسير، ١٩٨٧، ١٤٢-١٤٣).

وقد طبقت فكرة النظر إلى الخط العمودي في التحليل النحوي المدرسة التوزيعية في اللسانيات الغربية، التي أسسها ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield)، فوضع النظرية التوزيعية أو نظرية تحليل المكونات المباشرة (Immediate costituents analysis) وتختصر بـ(IC)(حسن، ٢٠١٦، ٣٨٤)، وهي نظرية تقوم على تقطيع الجملة إلى أجزائها الأساسية المكونة لها، والكشف عن هذه المكونات يكون من خلال قابلية الاستبدال (substituability) في سياق معين(حسن، ٢٠١٦، ٣٨٦)، ويكون ذلك كما يأتي:

- كتبَ محمدٌ الدرسَ
- حضرَ محمدٌ الدرسَ

- زرع فلاحو القرية الأرضَ

فالمكونات المباشرة في الجمل هي (الفعل، والفاعل، والمفعول به)، ولم تتغير السلسلة الخطية الأفقية لها، وإنّما استبدل عنصر بعنصر آخر في الجملتين الأولى والثانية وهو المكون الأول (الفعل)، وفي الجملة الثالثة استبدال المكونات بأخرى مع توسع وامتداد في المكون الثاني (الفاعل)، وهذه العناصر التي تستبدل بعضها ببعض في السياق النحوي نفسه تشترك في الموقع نفسه أو الوظيفة النحوية، وبفضل هذا الاشتراك الوظيفي تنتمي إلى صنف الصيغة نفسها(حسن، ٢٠١٦، ٣٨٦).

سبق أن قلنا إنَّ دكتور نهر أشار إلى عدم إغفال سيبويه لإمكانات التصرف العمودي والأفقي في التركيب النحوي، وهذا الأمر لا بدَّ من أن ينعكس على التحليل النحوي، فنجد دكتور نهر وهو يشرح الكتاب يقوم بالتحليل العمودي لمجموعة من التراكيب التي تنتمي إلى صنف واحد أو صيغة واحدة، ليصل إلى حكم نحوي أراد سيبويه إثباته، لنأخذ مثالاً لذلك مجموعة من الأمثلة المشابهة في الصيغة في حديثه عن أفعال القلوب، ذكرها دكتور نهر في مخطط وتصرف فيها عمودياً وأفقياً ليصل إلى أحكام نحوية، منها(نهر، ٢٠١٤، ٢/ ٥٦):

١- محمدٌ أظنّه مسافرٌ
٢- محمدٌ أظنُّ ظنّاً مسافرٌ
٣- محمدٌ أظنُّ ظنّي مسافرٌ
٤- محمدٌ أظنُّ ذاك مسافرٌ
٥- محمدٌ أظنُّ الظنَّ مسافرٌ
٦- محمدٌ أظنُّه مسافراً

نلاحظ من خلال هذه الجمل أنَّ دكتور نهر تصرف في الجمل بالنظر إلى الخط العمودي، فهي جمل وتراكيب جاءت على الصيغة نفسها، لكنَّ التغيير فيها كان باستبدال العناصر اللغوية بأخرى، ففي الجملة رقم (١) نجد الفعل القلبي اتصل به ضمير، ويذكر أنَّ هذا التركيب أجود؛ لأنَّ الهاء عائدة على فعل الظن لا على محمد، واستبدل الضمير بالمصدر في الجملة رقم (٢) ورقم (٣)، ووصفهما بأنهما أقل جودة من الأولى؛ وذلك لأننا لسنا بحاجة إلى الجمع بين فعل الظنَّ ومصدره، واستبدل المكون الثالث في جملة رقم (٤) باسم الإشارة، ووصفها بأجود؛ لأنَّ اسم الإشارة هنا كناية عن المصدر لا عن الفعل ولفظه، ثمَّ استبدله بالمصدر المحلى بـ (ال) في الجملة رقم (٥) ووصفها بأقل جودة؛

لأنَّ (الظنَّ) هنا أبعد من لفظ التأكيد (ظناً) لكونه بـ (ال)، ثمَّ يعود إلى اتصال الضمير بالفعل القلبي في الجملة رقم (٦)، ليذكر حكما نحوياً فيها وهو وجوب رفع محمد ونصب مسافر؛ لأنَّ الضمير هنا مفعول أول عائد على محمد، و(مسافراً) مفعول ثانٍ(نهر، ٢٠١٤، ٢/٥٠-٥٦).

ثمَّ يذكر مجموعة أخرى من الأمثلة يتصرف في التركيب الذي فيه الفعل القلبي (ظنَّ) أفقياً، مع النظر إلى الخط العمودي أيضاً؛ وذلك باستبداله بأفعال قلبية أخرى، نحو(نهر، ٢٠١٤، ٢/٥٦):

١- ظننتُ محمداً

٢- حسبتُ محمداً

٣- خلتُ محمداً

ففي الجملة رقم (١) حذف أحد مكونات الجملة، ووصفها بـ (جائز) على تقدير: من تظنّ ؟ أي من تتهم؟، ثمَّ استبدل (ظنَّ) بـ (حسب وخال) في الجملتين (٢) و(٣)، والحذف فيهما غير جائز؛ لأنَّ حسب وخال ونحوهما من بقية أفعال القلوب لا يتسع فيهما ما يتسع في (ظنَّ) بالاكتفاء على مفعول به واحد؛ فـ (ظنّ) أكثر استعمالاً ودوراناً على ألسنة العرب من غيرها من أفعال القلوب(نهر، ٢٠١٤، ٢/٥٦).

إنَّ هذه التحليلات النحوية قامت على الخط العمودي للجمل، وذلك باستبدال عناصر لغوية بأخرى فيها، وأراد بذلك إثبات أحكام في التراكيب التي يوجد فيها الفعل القلبي (ظنَّ)، وذكر أنَّ هذه الأحكام تقتصر على (ظنَّ) في هذا الباب ولا يجوز في أخواتها؛ لذا يقال فيه إنَّه (أم الباب) (نهر، ٢٠١٤، ٢/٥٥).

ومن أمثلة التحليل بالنظر إلى الخط العمودي في التراكيب ما جاء في (وصف ما فيه الألف واللام)، إذ يعطي دكتور نهر أمثلة للصفة في تراكيب، ويحاول فيها إثبات أحكام نحوية ذكرها سيبويه في باب (المعارف)(سيبويه، ١٩٨٨، ٢/ ٧؛ نهر، ٢٠١٤، ٣/ ٣٥١-٣٥٢)، وهي (نهر، ٢٠١٤، ٣/ ٣٥٢):

١- جاءَ الرجلُ الشاعرُ

٢- جاءَ الرجلُ كبيرُ القومِ

٣- جاء محمد أخوك

نلاحظ من التصرف العمودي في التراكيب يريد أن يثبت أنَّ الاسم المعرف بـ (ال) يوصف بمثله، أي أنَّ الصفة تكون محلى بـ (ال) أيضاً كما في الجملة رقم (١)، ويمكن أن يوصف بما هو مضاف إلى ما فيه الألف واللام كما في (كبير القوم) في الجملة رقم (٢)؛ لأنَّ المضاف إلى ما فيه الألف واللام بمنزلة المعرف بالألف واللام، وكما صار المضاف إلى غير ما فيه الألف واللام صفة لما ليس فيه الألف واللام كالعلم،

ومثّل لذلك بجملة رقم (٣)، ولا يجوز أن يكون (أخوك) مثلاً صفة لما فيه الألف واللام، كالطويل والنبيل، فتقول: مررت بأخيك النبيل، ولا يقال: مررت بالنبيل أخيك(نهر، ٢٠١٤، ٣٥٢/٣).

إنَّ هذا التحليل النحوي كان بالنظر إلى الخط العمودي للتراكيب، فقام باستبدال المكون الثالث من عنصر إلى آخر، وتشترك هذه العناصر في الجمل جميعها بموقع وظيفي نفسه أو وظيفة نحوية نفسها وهي الصفة في الصيغة التركيبية نفسها التي تترتب من (فعل + الفاعل + الصفة).

وفي حديثه عن الوصف بـ (كلّ وحقّ وجِدّ) ذكر أمثلة لسيبويه(سيبويه، ١٩٨٨، ١٢/٢-١٣؛ نهر، ٢٠١٤، ٣٦٢/٣-٣٦٣)، ثمَّ حلّل التراكيب فيها بالنظر إلى الخط العمودي فيها، نحو(نهر، ٢٠١٤، ٣٦٣/٣):

- أنتَ الرجلُ كلُّ الرجلِ
- هذا عبد الله كلُّ الرجلِ

هنا نجد التصرف العمودي في الجملتين إذ استبدل المبتدأ (أنت) بعنصر آخر في الجملة الثانية وهو (هذا)، واستبدل عنصر الخبر الذي هو (الرجل) في الجملة الأولى بـ (عبد الله) في الجملة الثانية، وأراد بذلك أن يثبت حكماً في التركيب الثاني وهو إنَّ استبدال الخبر بهذا العنصر اللغوي (عبد الله) ليس مقبولاً كالأول، وفيه ضعف أسلوبي ودلالي؛ لأنَّ الموصوف في الجملة الأولى مطابق لما أضيفت له (كلّ) لفظاً ومعنىً، وليس الأمر كذلك في الجملة الثانية، فلا مطابقة لفظية بين (عبد الله) و(الرجل) هذا على المستوى النحوي، أمّا على المستوى الدلالي ففي الجملة الأولى أراد إفادة معنى أنَّ الموصوف قد اجتمعت فيه من صفات الخير والرجولة ما تفرق في جميع الرجال، على وجه الكمال والمبالغة للمتحدث عنه الذي استكمل الخصال الحميدة، أمّا في الجملة الثانية فيكون المعنى أنَّ (عبد الله) معرّفٌ بما بعده من وصف لم يعلمه المخاطب(نهر، ٢٠١٤، ٣٦٣/٣).

ثمَّ يواصل دكتور نهر بسرد أمثلة سيبويه التي تصرف فيها عمودياً في المثال السابق، وذلك باستبدال (كلّ) بـ (حقّ) و(جدّ)؛ ليثبت فيهما ما أثبت في (كلّ) من أنَّ الوصف بها يشترط فيه ضرورة إضافتها إلى مثل موصوفها لفظاً ومعنىً، فيقول(نهر، ٢٠١٤، ٣٦٣/٣):

- هذا العالم حقُّ العالم، فهو كـ
- هذا العالم كلُّ العالم

في إرادة معنى المبالغة في العلم، وإنَّ كلّ من سواه باطل، وقد أضيفت إلى ما يماثل الموصوف لفظاً ومعنى، ومثله(نهر، ٢٠١٤، ٣٦٣/٣-٣٦٤):

- هذا العالم جِدُّ العالم

فأضيفت إلى مثل موصوفها لفظاً ومعنى، ويذكر أنَّ المعنى عند سيبويه هو: هذا عالمٌ جداً، أي بلغ الغاية في العلم، ويقال في الذم(نهر، ٢٠١٤، ٣/٣٦٤):

- هذا اللئيم جدُّ اللئيم.

ويذكر جواز وقوع هذه الألفاظ الثلاثة أوصافاً للنكرة، ويشترط في ذلك إضافتها إلى نكرة من جنس موصوفها أيضاً، ويسرد الأمثلة التي تصرف فيها عمودياً كما يأتي(نهر، ٢٠١٤، ٣/٣٦٤):

- هذا رجلٌ كلُّ رجلٍ
- هذا عالمٌ حقُّ عالمٍ
- هذا عالمٌ جدُّ عالمٍ
- هذا لئيمٌ جدُّ لئيم، في الذم.

فهذه النظرة العمودية إلى التراكيب التي مثل بها سيبويه ووظفها دكتور نهر في شرحه وتحليله كانت لإثبات حكم في الوصف بهذه الألفاظ الثلاثة وموصوفها، وهذا يبين لنا أنَّ التحليل النحوي لم يركز على الإعراب فحسب، بل ينظر إلى المكونات التي تنشأ الجمل، والقابلية الاستبدالية في الخط العمودي بين العناصر اللغوية فيها.

وأخيراً نقول إنَّ هذا الخط العمودي لا يكون في التراكيب ما لم يأتِ صنوه الذي هو الخط الأفقي، فلوجود الأفقي يوجد العمودي، والعكس واقع أيضاً(كاظم وحمود، ٢٠١٦، ٦٨١).

ثانياً – التصرف الأفقي:

يتخذ هذا النوع من التحليل الخط الأفقي مساراً في الكشف عن العلاقات التي تكوّن بين العناصر في سلسلة كلامية مترابطة، ويطلق دي سوسير(de Suisier) على هذا النوع من العلاقات (syntagmatic)(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٤٢)، ويعني بها العلاقات السياقية، أو العلاقات المركبية(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٥٧؛ كاظم وحمود، ٢٠١٦، ٦٨١)، إذ يقول إنَّ كلّ شيء في الحالة اللغوية يعتمد على العلاقات، ومن هذه العلاقات ما تعتمد على الطبيعة الخطية للغة؛ لأنها مرتبطة مع بعضها، وهذه الحقيقة تحول دون النطق بعنصرين في آن واحد، فإنَّ هذه العناصر مرتبة بصورة متعاقبة في سلسلة الكلام، والربط الخطي – الأفقي– بين العناصر تنتج عنه السياق (syntagm)(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٤٢)، وهذه العلاقات السياقية السنتاكمية هي علاقات حاضرة، يعتمد على عنصرين أو أكثر في سلسلة حقيقية فعالة، بعكس العلاقات الإيحائية في الخط العمودي التي تربط بين العناصر بصورة غيابية(دي سوسير، ١٩٨٨، ١٥٧؛ كاظم وحمود، ٢٠١٦، ٦٨١–٦٨٢).

وقلنا آنفاً إنَّ وظيفة الخط العمودي هي استدعاءات ذاكرية للعناصر اللغوية، ويقوم الخط الأفقي بوظيفة ترتيب هذه الاستدعاءات أي العناصر(كاظم وحمود، ٢٠١٦، ٦٨١-٦٨٢)، ففي التحليل الأفقي يُنظر إلى ترتيب العناصر اللغوية وتآلفها في السياق، وما يتعرض لذلك من تقنيات أو آليات لغوية كالتقديم والتأخير، والحذف، والفصل والوصل، وهذه الآليات التي يخضع لها الخط الأفقي في السياق يطلق عليها دكتور نهر مصطلح (التصرف الأفقي)، وقد أشار إلى اهتمام سيبويه إلى ذلك وعدم إغفال ما يطرأ على التركيب من تلك الآليات اللغوية، وكان ذلك اهتمام النحويين من بعده أيضاً، إذ ركزوا في التحليل النحوي فضلاً عن الإعراب إلى التركيب و تآلف المكونات الأساسية في الأصل، ومن ثمَّ ما يطرأ على هذه المكونات أو العناصر من تقديم وتأخير وحذف وفصل بين شيئين، وفي الدرس اللساني الحديث مثلت تلك القضايا النحوية معالم المدرسة (التوليدية (Generative) التحويلية (Tramnsformational) التي أسسها نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)(الراجحي، ١٩٧٩، ١٤٣-١٥٧؛ حسن، ٢٠١٦، ٤٢٩-٤٣٧)؛ لذا ربط كثير من الباحثين بين النحو العربي والنظرية التوليدية والتحويلية(الراجحي، ١٩٧٩، ١٤٣-١٥٧)، وذكر بعضهم أنَّ النحو العربي نحو تحويلي(حسن، ٢٠١٦، ٤٢١).

وفي (الشرح المعاصر) نجد نماذج كثيرة من التحليلات النحوية تركز على الخط الأفقي في التركيب اللغوي، وفيما يأتي عرض لتلك النماذج وفقاً لما تقتضيه آليات التصرف الأفقي:

١- **الترتيب:**

الترتيب من الآليات اللغوية التي ركز عليها النحو العربي في تحليل التراكيب والجمل، وكما نعلم أنَّ الجملة في العربية إمّا تكون اسمية أو تكون فعلية، وترتيب المكونات النحوية الأساسية في الصنفين يكون كالآتي:

-الجملة الاسمية = مبتدأ + خبر

-الجملة الفعلية = فعل + فاعل و فعل + فاعل + مفعول به

وهناك مكونات أخرى متصلة بهذه المكونات الأساسية كالنعت والتوكيد والعطف والإضافة وما إلى ذلك، التي تشكل تراكيب نحوية تقوم عليها الجملة، ولكلٍّ منها ترتيب معين في التركيب، وهذا الترتيب في المكونات النحوية قد يتصرف فيها تقديماً وتأخيراً في الكلام العربي، وهذا ما أتاح للنحويين فرصة لتحليل التراكيب بالنظر إلى الخط الأفقي، ويذكر دكتور نهر في (الشرح المعاصر) وهو يشرح كلام سيبويه في باب (المتعدّي إلى مفعول واحد) في نحو: (أكرم زيداً عبدُ الله) أنَّ التصرف الأفقي في مكونات الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي جائز تقديماً وتأخيراً، وإن كان الأصل في مثل هذه الجمل هو تقديم الفعل ثمَّ يليه الفاعل ثمَّ المفعول به على النحو الآتي: (أكرم عبدُ الله زيداً)، فتقديم المفعول به على الفاعل جائز، وهذا التقديم كما يرى

سيبويه يكون لفظاً لا معنى؛ ((لأنك إنَّما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً)) (سيبويه، ١٩٨٨، ٣٤/١؛ نهر، ٢٠١٤، ١٤٦/١)، فالمفعول به مفعول في المعنى سواء تقدم على الفاعل أم تأخر، وحدّ اللفظ ترتيبه وتقديره، والإعراب كفيل في بيان الفاعل عن المفعول به في التركيب، أمّا إذا غابت العلامة الإعرابية فالمتقدم هو الفاعل حتماً، كما في نحو: (أكرم مصطفى عيسى)، وقد يفرز بالمعنى بين الفاعل والمفعول به، فلا يشترط عندئذٍ أن يكون المتقدم هو الفاعل مع غياب الإعراب، فالمتقدم في نحو: (أكل الكمثرى مصطفى) تتحدد مع غياب الإعراب من هو الآكل (الفاعل) ومن هو المأكول (المفعول به) بغض النظر عن موقع كلٍّ منهما من الجملة(نهر، ٢٠١٤، ١٤٥/١-١٤٦).

إنَ هذا التحليل النحوي لتقديم المفعول به على الفاعل كان بالنظر إلى علاقة المكونات التركيبية بعضها ببعض أفقياً، ومدى التصرف فيها في السياق نفسه، ويؤكد دكتور نهر بعد ذلك على مسألة مهمة في تقديم ما حقّه التأخير، وهي ((أنَّ الخروج عن أصل الوضع في تقديم المفعول به على الفاعل ضرب من التوسع في الكلام على المستوى الأسلوبي والإيقاعي، وعلامة على مرونة اللغة العربية، وإمكانيات التصرف في تراكيبها))(نهر، ٢٠١٤، ١٤٦/١)، ويرى سيبويه أنَّ تقديم الشيء ((عربي جيد كثير، كأنَّهم إنَّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم))(سيبويه، ١٩٨٨، ٣٤/١؛ نهر، ٢٠١٤، ١٤٦/١).

وفي شرحه لـ (إنَّ وأخواتها) وإمكانيات التصرف الأفقي في تركيبها، يحلّل إعرابياً مثال سيبويه في نحو: (إنَّ أسداً في الطريق رابضاً) (سيبويه، ١٩٨٨، ١٤٣/٢؛ نهر، ٢٠١٤، ٢٠٥/٤)، وذلك بالنظر إلى مكونات التركيب وما يتصرف فيها تقديماً وتأخيراً، فإذا تقدم الاسم (أسداً) على الجار والمجرور (في الطريق)، أعربت شبه الجملة على أنَّها في موضع رفع خبر (إنَّ)، و(رابضاً) يعرب حالاً، أمَّا إذا تقدمت شبه الجملة على الاسم نحو: (إنَّ بالطريق أسداً رابضٌ) تلغى وظيفتها النحوية، ويكون (أسداً) اسم إنَّ و(رابضٌ) خبرها(نهر، ٢٠١٤، ٢٠٥/٤).

٢- الحذف:

تعدّ ظاهرة الحذف من الآليات اللغوية التي تناولها النحويون في أغلب الأبواب النحوية وتحليل التراكيب والمسائل، وتعد من إمكانيات التصرف الأفقي في الكلام العربي، إذ يقول دكتور نهر وهو يتحدث عن الحذف إنَّه ((نوع من التصرف الأفقي في الكلام العربي، ومظهر من مظاهر مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن المعنى المعين بطرق شتّى، موجزة ومطنبة، وما الحذف إلّا مظهر من مظاهر الإيجاز والاختصار والتوسع في الكلام على ضروب شتّى))(نهر، ٢٠١٤، ٣١٦/٢).

وقال ذلك في معرض شرحه لمثال سيبويه: (لا عليك)، إذ يذكر أنَّ هذا القول يمثل جملة كاملة، لكن حذف أحد ركنيها الأساسيين، وأصلها: لا بأس عليك، أو لا ضرَّ عليك،

وهذا لا يكون –على حد تعبير سيبويه– إلّا في (لا عليك)؛ لكثرة استعمالهم لها(سيبويه، ٢٠١٤، ٢٢٤/١؛ نهر، ٢٠١٤، ٣١٦/٢).

فهذا التحليل للتركيب كان تحليلاً أفقياً، وذلك بالنظر إلى ما هو محذوف من أركانه الأساسية، وفي حديثه عن مواضع حذف الأفعال يقول دكتور نهر: ((ممّا يدلّ على مرونة اللغة العربية وإمكانات التصرف في تراكيبها تصرفاً أفقياً هذه المواضع الكثيرة من مواضع حذف أحد مكونات الجمل من غير أن ينبهم المعنى المراد، أو يلتبس على المتلقي، لاسيما إذا كان الباث والمتلقي على بينة من السياق المقامي الذي تجري فيه العملية التواصلية بينهما))(نهر، ٢٠١٤، ٧/٣)، ثمَّ يأخذ بالشرح والتحليل عدداً من الأمثلة والشواهد التي يجري بعضها مجرى الأمثال ذكرها سيبويه في كتابه(نهر، ٢٠١٤، ٣/ ٧–٩؛ سيبويه، ١٩٨٨، ١/ ٢٩٤–٢٩٥)، من هذه الأمثلة والشواهد قولهم: (وإنْ تأتني فأهل الليل والنهار)، ويحلّلها دكتور نهر أفقياً بتقدير فعل محذوف: إنْ تأتني فتأتي أهل الليل والنهار، وأهل الليل على معنى: أنَّك تأتي من يكون لك كالأهل بالليل والنهار، فحذف فعل الجواب لكثرة استعمالهم إياه(نهر، ٢٠١٤، ٨/٣).

ومن أمثلة التحليل النحوي للتراكيب أفقياً تحليله لشاهد سيبويه في قول الشاعر(قيس، د.ت، ٢٣٣؛ سيبويه، ١٩٨٨، ٢/ ١٤١؛ السيرافي، ٢٠٠٨، ٤٦٩/٢):

إنَّ مَحَلًّا وإنَّ مُرتَحَلا وإنَّ في السَّفْر ما مَضَى مَهَلا

يذهب هنا إلى ما ذهب إليه سيبويه في أنَّ خبر (إنَّ) هنا محذوف، ويقول إنَّ التقدير فيه: إنَّ لنا محلاً في الدنيا، أي حلولاً، وإنَّ لنا مرتحلاً، أي ارتحالاً إلى عالم آخر، وحذف الخبر للعلم به(نهر، ٢٠١٤، ٤/ ٢٠١).

إن هذه التحليلات النحوية لم تكن قائمة بالنظر إلى الإعراب، وإنّما ركزت على الخط الأفقي للتراكيب وما تصرف فيها من حذف لأحد مكوناتها، وهذا يؤكد لنا اهتمام النحويين إلى أمور أخرى في التحليل غير الإعراب، وتقدير المحذوف من المكونات التركيبية كان واحداً من هذه الأمور.

٣– الفصل بين شيئين:

جعل دكتور نهر الفصل بين شيئين أيضاً من إمكانيات التصرف الأفقي في الكلام العربي، كالفصل بين لا واسمها وبين المضاف والمضاف إليه بظرف أو جار ومجرور وغيرها(نهر، ٢٠١٤، ١٣٥/١)، ففي تحليله لمثال مشابه لأمثلة سيبويه في باب (اسم الفاعل المتعدّي إلى مفعولين) في نحو: (هذا معطي زيدٍ كتاباً)(سيبويه، ١٩٨٨، ١٧٦/١؛ نهر، ٢٠١٤، ٢١٢/٢)، يذكر أنَّ (معطي) هنا من (يعطي) المتعدي إلى مفعولين، وفي هذا المثال عندما جاء اسم فاعل، أجري على التركيب حملة من التصرفات الأفقية، منها الفصل بينها وبين مفعولها بفاصل وهو المضاف (زيد) الذي يعد المفعول به الأول في الأصل(نهر، ٢٠١٤، ٢١٢/٢).

نلاحظ من خلال هذا التحليل النحوي الذي أجري بالنظر إلى الخط الأفقي لمكونات التركيب، أنَّ الفصل بين شيئين جعلها دكتور نهر من إمكانيات التصرف الأفقي في التراكيب.

ومن أمثلة التحليل الأفقي في (الشرح المعاصر)، وذلك بالنظر إلى الفصل بين شيئين، تحليله لأمثلة سيبويه في نحو(سيبويه، ١٩٨٨، ١/١٢٣؛ نهر، ٢٠١٤، ٢/٤٥-٤٦):

- متى تقول زيداً منطلقاً
- أ كلَّ يومٍ تقول عمراً منطلقاً
- أ أنتَ تقول زيدٌ منطلقٌ

يقول دكتور نهر إنَّ (تقول) في الجملة الأولى بمعنى (ظنَّ) والتقدير: أتظن زيداً منطلقاً، فنصب مفعولين بعدها، ويؤكد سيبويه أحد الشروط التي يجب توافرها فيها لكي تعمل عمل (ظنَّ)، أن لا يفصل بينها وبين الاستفهام قبلها بفاصل أجنبي، أي بغير الظرف والجار والمجرور، وبقي العمل في الجملة الثانية مع التصرف في التركيب أفقياً بالفصل بين الاستفهام و(تقول)؛ لأن الفاصل بينهما هو الظرف (كلَّ يوم) وليس أجنبياً، أمَّا في الجملة الثالثة فالفاصل بين الاستفهام و(تقول) أجنبي أي ليس ظرفاً ولا جار ومجرور؛ لذلك لم يجرِ (تقول) مجرى (ظنَّ) بنصب المفعولين، فيظل على حالها في المعنى والعمل، ويرفع ما بعدها على الابتداء والخبر(نهر، ٢٠١٤، ٢/ ٤٥-٤٦).

إنَّ تحديد الأوجه الإعرابية في التراكيب هنا، وما تضمنه الفعل من معنى فعل آخر، كان بالنظر إلى الخط الأفقي للتراكيب، وذلك بالفصل بين المكونات الأساسية وبين نوع الفاعل، ونلاحظ هنا تشابكاً في المرتكزات التحليلية التي تتمثل بالتحليل الإعرابي والتحليل الخطي – العمودي والأفقي–.

الخاتمة:

نستنتج من خلال هذه الدراسة أنَّ التحليل النحوي لا ينحصر في التحليل الإعرابي للعناصر في التراكيب اللغوية في النحو العربي بشكل عام وفي (الشرح المعاصر) بشكل خاص، بل أنَّ التحليلات النحوية كانت تركز على التصرفات العمودية والأفقية إلى جانب الإعراب، فهناك تحليلات نحوية تقوم على الخطين الأفقي والعمودي، وهناك تحليلات ركزت على الإعراب دون النظر إلى تصرفات التركيب عمودياً وأفقياً، وكثيراً ما نجد تشابكاً بين المرتكزات في التحليل، فعندما يُحلل التركيب إعرابياً ينظر إلى العلاقات الخطية بين مكوناته، وقد يكون الأمر معكوساً بالتصرف الخطي –العمودي والأفقي–، فينظر إلى العلاقات الإعرابية من عاملية ومعمولية واسنادية وتبعية وغيرها، قبل التصرف في المكونات تقديماً وتأخيراً وحذفاً وفصلاً ووصلاً، وبعد التصرف فيها.

المصادر

- حسن، فوزي (٢٠١٦) محاضرات في اللسانيات. ط٢. عالم الكتب الحديث. إربد.
- حسين، وليد (٢٠٠٢) دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها. (رسالة ماجستير). كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية.
- دي سوسير (١٩٨٧) محاضرات في علم اللسان العام. ط١. تر: عبد القادر قنيني. أفريقيا الشرق.
- دي سوسير (١٩٨٨) علم اللغة العام. ط١. تر: يوئيل يوسف عزيز. بيت الموصل. العراق.
- الراجحي، عبده (١٩٧٩) النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج). ط١. دار النهضة العربية. بيروت.
- سيبويه (١٩٨٨) الكتاب. ط٣. تحـ: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- السيرافي، ابو سعيد (٢٠٠٨) شرح كتاب سيبويه. ط١. تحـ: أحمد حسن مهدلي. وعلي سيد علي. دار الكتب العلمية. بيروت.
- قيس، ميمون (د.ت) ديوان الأعشى الكبير. ط١. تحـ: محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميزت.
- كاظم، احمد وحمود، رياض (٢٠١٦) الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية. مج٢٤. ع٢.
- نهر، هادي (٢٠١٤) الشرح المعاصر لكتاب سيبويه. ط١. عالم الكتب الحديث. إربد.

References

- Hassan, Fawzi (2016) Lectures in Linguistics. 2nd ed. Modern World of Books. Irbid.
- Hussein, Walid (2002) The Role of the Substitution Approach in Describing and Codifying Arabic. (Master's Thesis). Faculty of Graduate Studies. University of Jordan.
- De Saussure (1987) Lectures in General Linguistics. 1st ed. Trans. Abdul Qader Qanini. East Africa.
- De Saussure (1988) General Linguistics. 1st ed. Trans. Yoel Yousef Aziz. Mosul House. Iraq.
- Al-Rajhi, Abdo (1979) Arabic Grammar and Modern Lessons (A Study of the Method). 1st ed. Dar Al-Nahda Al-Arabiya. Beirut.
- Sibawayh (1988) The Book. 3rd ed. Trans. Abdul Salam Muhammad Harun. Al-Khanji Library. Cairo.
- Al-Sirafi, Abu Saeed (2008) Explanation of Sibawayh's Book. 1st ed. Translated by: Ahmed Hassan Mahdali and Ali Sayyid Ali. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah. Beirut.
- Qais, Maimon (n.d.) Diwan Al-A'sha Al-Kabir. 1st ed. Translated by: Muhammad Hussein. Library of Literature, Al-Jamaizt.
- Kazim, Ahmed and Hamoud, Riyadh (2016) The Vertical and Horizontal Line in Western Linguistics. Journal of the University of Babylon for Humanities. Vol. 24, No. 2.
- Nahr, Hadi (2014) Contemporary Commentary on the Book of Sibawayh. 1st ed. Modern World of Books. Irbid.